التبكيت في القرآن الكريم لأهل النار

دراسة تفسيرية موضوعية

د. مُحَمَّد أحمد مصلح الوعيل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد– جامعة إب

مجلة القلم

(علميّة – فصليّة – محكّمة)

الرقم الدولي

(ISSN 2410-5228)

تصدر عن جامعة القلم

للعلوم الإنسانية والتطبيقية

مدينة إب

الجمهورية اليمنية

www.alkalm.net

Reproaching Hell Inhabitants in the Holy Qur'an: an interpretive objective study

Dr. Mohammed Ahmed Musleh Alwu'ail
Assist. Prof. of interpretation and Qur'an Sciences, Ibb University, Al-Nadera

Abstract

Allah has created people to magnify and worship Him. He has also sent messengers to witness this sacred purpose of creation. For this noble purpose, He has bestowed upon Man the will and choice so that Man be responsible in every deed. Allah has ordered Man to do or leave. Therefore, he who obeys is rewarded the Paradise, and he who does not goes to hell. In addition to this, the latter are also reproached by Allah, his Angels and the former.

This research, therefore, aims at defining reproaching in the Holy Qur'an and detailing the Verses where it is mentioned, and the reasons of it. It also aims at pointing out the ways of reproaching, with the scientists' opinions of the significances of the ways and Verses.

التبكيت في القرآن الكريم لأهل النار

دراسة تفسيرية موضوعية

د. مُحَمَّد أحمد مصلح الوعيل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد- جامعة إب

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تعريف التبكيت، وبيان الآيات التي ورد فيها، مع التفصيل للأسباب التي ورد لأجلها التبكيت، وبيان الأساليب المتنوعة الواردة في تبكيت أهل النار ، مع بيان أهل العلم لدلالات الآيات مع الترجيح لما يحتاج إلى ترجيح.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإن الله لم يخلق الخلق عبثاً، بل خلقهم لغاية وهي إفراده سبحانه بالعبادة والطاعة ، وأرسل الرسل لإقامة الحجة على العباد ، وزود الإنسان بالإرادة وتحمل المسئولية ، ورتب على الإلزام والمسئولية مبدأ الجزاء، فمن أطاعه فله الجنة، ومؤانسة الرحمن فيها ليزيد من نعيمهم، ومن عصاه فله النار، وتبكيت الله وملائكته، والمؤمنين، ليزيد في إيلامهم وعذابهم، نسأل الله تعالى العافية، وقد خصصت بحثي هذا في التبكيت لأهل النار، وسميته : (التبكيت في القرآن الكريم لأهل النار دراسة تفسيرية موضوعية).

أسباب اختيار الموضوع

١. إن إبراز آيات التبكيت ببحث منفرد، لا شك أن له أثرا على النفوس فسماعها يوقض من الغفلة التي جثمت على قلوب الكثيرين فأنستهم الاستعداد للآخرة.

٢. إظهار هذه الصورة القرآنية الواردة في موقف وصور متعددة في القرآن الكريم في دراسة موضوعية.

أهداف البحث

١. تحبيب اتباع الحق وأهله ، وتكريه الباطل وطرقه .

٢. التحذير من الشيطان وأتباعه ومن تأثيرهم على النفوس.

٣. تثبيت أهل الإيمان على طريق دعوتهم.

٤. بيان صور العذاب المعنوي لأهل النار.

منهج البحث

سلكت في بحثي المنهج الاستقرائي لآيات القرآن الكريم، ثم المنهج التحليلي الوصفي لمواقف التبكيت التي اشتمل عليها البحث.

خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، وتمهيد ومبحثين

التمهيد : وفيه تعريف التبكيت.

المبحث الأول: أساليب وصور التبكيت لأهل النار.

المبحث الثاني: أسباب التبكيت لأهل النار.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

وفيه تعريف التبكيت

اختلفت ألفاظ ومعاني التبكيت عند علماء اللغة فضبطوها على حسب ورودها واستخداماتها كما يأتي :

أولاً: التقريع والتعنيف كما ورد في الحديث في حق شارب الخمر: ((بكتوه)) فقال الصحابة : ما اتقيت الله ما خشيت الله...[١]

قال الهروي: ويكون باليد وبالعصا وبنحوها. [٢]

قال ابن الجوزي: التبكيت التقريع باللسان، مثل أن يقال له : ما استحييت [٣].

ثانياً: التبكيت بمعنى الغلبة بالحجة ، يقال: بكته بالحجة أي غلبة ، وبكته يبكته بكتاً استقبله بما يكره، قال الأصمعي : التبكيت أن يستقبل الرجل بما يكره [٤].

ثالثاً: التبكيت : التعيير والتقبيح ، ويكون التبكيت بلفظ الخبر كما قال إبراهيم عليه السلام: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ }الأنبياء٦٣،قاله تبكيتا وتوبيخاً على عبادتهم الأصنام[٥]

رابعاً: التبكيت : بمعنى الخزي والإغاظة ، والهلاك واللعن والإلقاء على الوجه ، والرد بعنف[٦].

الخلاصة

ورد التبكيت بمعنى التوبيخ والتعنيف، والتعيير والتقبيح، والخزي والهلاك واللعن، وكلها ترجع إلى الإنكار على المبكت ولكن بأسلوب فيه إهانة وإذلال وتوبيخ.

وأما التبكيت بمعنى الغلبة بالحجة ، فقد يحمل معنى الإنكار؛ لأن المتحاجين كل واحد ينكر على من يحاججه ولا يلزم الإهانة والتوبيخ والتعنيف ، وغيرها من المعاني المتقدمة.

وعليه فالتبكيت الوارد في البحث لا ينطبق عليه التعريف الذي بمعنى الغلبة بالحجة للآتي :

١. لأن الموضوع يتعلق بأهل النار ، ولا حجة فيها للغلبة بالحجة؛ لأن الحجة في الدنيا.

٢. ورد في الحديث أن الله يبكتهم ، فلا يجوز أن نقولك غلبهم الله في الحجة؛ لأن الله لا يحاجج، ولا يجوز لأحد أن يحاجج ربه.

٣. أهل النار وضح بطلان عملهم فاستحقوا النار، فلا يصلح أن نقول: التبكيت بمعنى الغلبة بالحجة؛ لأن باطلهم وضح بدخولهم النار.

المبحث الأول

أساليب وصور التبكيت لأهل النار

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب السؤال.

- **سؤال أهل النار عن شركائهم الذين زعموا أنهم ينفعونهم:**

قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ }سورة القصص٦٢

وقال تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ } سورة الأعراف٣٧

وقال تعالى: {ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ{٧٣} مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ{٧٤}} سورة غافر: ٧٣ – ٧٤

ثم أخبر تعالى أنهم يوقفون يوم القيامة من جهة التوبيخ والتقريع، فيقال لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدون في الدنيا؟ فيقولون:(ضَلُّواْ عَنَّا): أي تلفوا منا وغابوا واضمحلوا، ثم تضطرب أقوالهم ويفزعون إلى الكذب فيقولون: (بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً) وهذا من أشد الاختلاط في الذهن والنظر[٧].

يقول سيد قطب:" وبعد السحب والجر في هذا العذاب وفي هذه المهانة، ينتهي بهم المطاف إلى ماءٍ حار وإلى نار: (فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) أي: يربطون ويحبسون على طريقة سجر الكلاب. أي: يملأ لهم المكان ماء حاراً وناراً موقدة. وإلى هذا ينتهون، وبينما هم في هذا العذاب المهين يوجه إليهم التبكيت والترذيل والإحراج والإعنات: (أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) [٨].

- **سؤال المؤمنين للكافرين عن سبب دخولهم في سقر؛ توبيخاً وتبكيتاً وتقريعاً لهم:**

فأهل الجنة يتساءلون عن سبب دخول أهل النار النار، كما قال الله تعالى: (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ{٣٩} فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ{٤٠} عَنِ الْمُجْرِمِينَ{٤١} مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ{٤٢} قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ{٤٣} وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ{٤٤} وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ{٤٥} وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ{٤٦} حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ{٤٧} سورة المدثر

وأصحاب اليمين هم المذكورون في قوله تعالى:(وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ{٢٧} فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ{٢٨} وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ{٢٩} سورة الواقعة: ٢٧ – ٢٩ إلى قوله تعالى: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء{٣٥} فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً{٣٦} عُرُباً أَتْرَاباً{٣٧} لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ{٣٨} سورة الواقعة: ٣٥ – ٣٨

قال ابن كثير:" فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ".[٩]

والمقصود باليقين: الوارد في الآية: الموت، كقوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } سورة الحجر٩٩، وقال رسول الله ﷺ : (أما هو يعني عثمان بن مضعون فقد جاءه اليقين)[١٠].

قال الحسن البصري:" إن الله لم يجعل لعمل المؤمنين أجلاً دون الموت، وقرأ قوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } سورة الحجر٩٩، وذلك أن اليقين هنا: الموت وما بعده، باتفاق علماء المسلمين"[١١].

- **سؤال أصحاب الجنة لأصحاب النار بعد مناداتهم بـ:(هل وجدوا ما وعدهم ربهم حقاً)؟**

قال تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ(٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ(٤٥) } سورة الأعراف٤٤-٤٥ وهذا النداء من المؤمنين إنما هو للتقريع والتوبيخ، فهم يعلمون تمام العلم أن ما وعد الله عز وجل هو الحق وذلك هو من جملة الإيمان الذي به أدخلهم الله سبحانه وتعالى الجنة.

يقول ابن كثير في معنى الآية الكريمة:" يخبر تعالى بما يخاطب به أهل النار على وجه التقريع والتوبيخ إذا استقروا في منازلهم: {أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً} أن: هاهنا مفسرة للقول المحذوف، وقد للتحقيق أي قالوا لهم :{أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً}، وإنما قالوا لهم ذلك؛ اغتباطاً بحالهم وشماتة بأصحاب النار، وزيادة في غمهم؛ لتكون حكايته لطفاً لمن سمعها"[١٢].

"وهذا النداء خطاب من أصحاب الجنة عبر عنه بالنداء؛ كناية عن بلوغه إلى أسماع أصحاب النار من مسافة سحيقة البعد، فإن سعة الجنة وسعة النار تقتضيان ذلك، لاسيما مع قوله تعالى: {وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ } سورة الأعراف٤٦، ووسيلة بلوغ هذا الخطاب من الجنة إلى أصحاب النار وسيلة عجيبة غير متعارفة، وعلم الله وقدرته لا حد لمتعلقاتهما"[١٣].

المطلب الثاني: أسلوب التقرير

التقرير صورة من صور التبكيت ومعناه: حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجائه إليه ، ويأتي بمعنى التحقيق والتثبيت[١٤]

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب ما يأتي :

- **طلب الملائكة من الكافرين دخولهم أبواب جهنم توبيخاً وتبكيتاً.**

قال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } سورة الزمر٧٢ "

{وَسِيقَ(١) الَّذِينَ كَفَرُوا} أي ساقهم الملائكة بشدة وعنف؛ لأنهم لا يريدون الذهاب[١٥]

(فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) أي: بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان لمن كان متكبراً عن آيات الله واتباع رسله وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم".[١٦]

وقال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: {قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} سورة الزمر٧٢ أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ، والتحقير والتصغير، والتهكم والاستهزاء بهم"[١٧]

- **تقرير أصحاب الأعراف لأصحاب النار بأن جموعهم واستكبارهم لم ينفعهم بشيء:**

قال الله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ[٤٨] أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} سورة الأعراف: ٤٨ – ٤٩ ومن هم أصحاب الأعراف؟ يذكر ذلك ابن كثير فيقول:" واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع على معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف".[١٨]

وذكرنا لأصحاب الأعراف ضمن تبكيت أهل الجنة لأهل النار؛ لأنهم يصيرون إلى الجنة، يقول ابن عطية:" واللازم من الآية أن على أعراف ذلك السور، أو على مواضع مرتفعة عن الفريقين حيث شاء الله تعالى رجالاً من أهل الجنة، يتأخر دخولهم ويقع لهم ما وصف من الاعتبار في الفريقين (مَا أَغْنَى) استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ، وقيل: (ما) نافية والأول أصوب"[١٩].

قال الرازي: واستغنى عن ذكر أهل النار لأجل أن الكلام المذكور لا يليق إلا بهم، وهو قولهم: (مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) وذلك لا يليق إلا بمن يبكت ويوبخ، ولا يليق أيضاً إلا بأكابرهم، والمراد بالجمع، إما جمع المال، وإما الاجتماع والكثرة (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) والمراد: استكبارهم عن قبول الحق، واستكبارهم على الناس المحقين. وقرئ (تستكثرون) من الكثرة، وهذا كالدلالة على شماتة أصحاب الأعراف بوقوع أولئك المخاطبين في العقاب، وعلى تبكيت عظيم يحصل لأولئك المخاطبين بسبب هذا الكلام ثم زادوا على هذا التبكيت، وهو قولهم (أَهَـؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ) فأشاروا إلى فريق من أهل الجنة كانوا يستضعفون ويستلقون أحوالهم، وربما هزؤوا بهم، وأنفوا من مشاركتهم في دينهم، فإذا رأى من كان يدعي التقدم حصول المنزلة العالية، لمن كان مستضعفاً عنده قلق لذلك، وعظمت حسرته وندامته على ما كان منه من نفسه"[٢٠].

- **تقرير المؤمنين لأهل النار بأن هذا اليوم . يوم القيامة . الذي هم فيه هو يوم البعث:**

قال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} سورة الروم٥٦.

اختلف في الذين أوتوا العلم فقيل: الملائكة، وقيل: الأنبياء، وقيل: علماء الأمم، وقيل: مؤمنو هذه الأمة، وقيل: جميع المؤمنين: أي: يقول المؤمنون للكفار رداً عليهم لقد لبثتم في قبوركم إلى يوم البعث"[٢١].

قال الشوكاني:" ولا مانع من الحمل على الجميع، ومعنى: (فِي كِتَابِ اللَّهِ) في علمه وقضائه. قال الزجاج: في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ. قال الواحدي: والمفسرون حملوا هذا على التقديم والتأخير على تقدير: وقال الذين أوتو العلم في كتاب الله، وكان ردّ الذين أوتوا العلم عليهم باليمين للتأكيد، أو للمقابلة لليمين باليمين، ثم نبهوهم على طريقة التبكيت بأن هذا الوقت الذي صاروا فيه هو يوم البعث (فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) أنه حق، بل كنتم تستعجلونه تكذيباً واستهزاء"(٢٢)

وذكرنا أن هذا من تبكيت أهل الجنة لأهل النار، مع أن هناك اختلافاً في من القائل للعبارة، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن من المفسرين من قال: بحمل المعنى على الجميع كما ذكر الشوكاني، ومن قبله الزمخشري حيث قال: "القائلون: هم الملائكة والأنبياء. والمؤمنون (فِي كِتَابِ اللَّهِ) في اللوح، أو في حفظ علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي: أوجبه بحكمته ردوا ما قالوه حلفوا عليه ، وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على إنكار البعث بقولهم: (فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) أنه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه"(٢٣).

وبهذا فالمؤمنون يدخلون في المقصود بالذين أوتوا العلم والإيمان عند من يرى العموم.

ثانيهما: أن ما نرجحه ونذهب إليه هو أن المراد بالذين أوتوا العلم والإيمان: هم المؤمنون، فالقرآن يفسر بعضه بعضا؛ وقد جمع الله بين العلم والإيمان في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } سورة المجادلة١١، ولا أحد – فيما أعلم ـ ذكر أن المقصود في هذه الآية بأن الذين أوتوا العلم والإيمان هم غير المؤمنين الذين بدأت الآية بذكرهم فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بل أن الذي يقولونه بأن المقصود هم المؤمنون، وتكون هذه الآية المجمع على معناها مبينة معنى الآية الأولى، والوصف بالذين أوتوا العلم في القرآن لم يكن إلا للمؤمنين لا للملائكة في جميع الآيات، وذلك في الآيات التالية: {قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً }سورة الإسراء١٠٧، {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } سورة الحج٥٤ ،{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ } سورة القصص٨٠ ، وقال تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ } سورة العنكبوت٤٩، وقال تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } سورة سبأ٦، وقال تعالى: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ } سورة محمد١٦.

وهؤلاء المؤمنون الذين وصفهم الله بالذين أوتوا العلم هم الذين يقولون يوم القيامة كما ذكر الله ، تعالى: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى

الْكَافِرِينَ } سورة النحل٢٧، وهم الذين قال الله عنهم : {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } سورة الروم٥٦

قال ابن عاشور في معنى هذه الآية:" والمعنى: وقال لهم المؤمنون إنكاراً عليهم وتحسيراً لهم، والظاهر أن المؤمنين يسمعون تحاجج المشركين بعضهم مع بعض فيبادرون بالإنكار عليهم لأن تغيير المنكر سجيتهم التي كانوا عليها. وفي هذا أدب إسلامي وهو أن الذي يسمع الخطأ في الدين والإيمان لا يقره ولو لم يكن هو المخاطب به"(٢٤)

وبهذا فإن ابن عاشور يرى أن المقصود بالذين أوتوا العلم والإيمان هم المؤمنون كما هو واضح في كلامه.

- **مخاصمة إبليس لأهل النار.**

إبليس الذي دعاهم إلى المنكرات، وزين لهم أعمالهم الباطلة، في هذا اليوم يعلن لهم أن وعد الحق هو ما وعدهم به الله، وأنه كافر بما أشركوه من قبل، كما قال الله تعالى: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ{٢٢} سورة إبراهيم: ٢٢ .

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ) أي: إبليس (لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ) يعني: لما أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، واستقر بكل فريق منهم قرارهم :(إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ) أيها الأتباع النار، ووعدتكم النصرة، فأخلفتكم وعدي، ووفى الله لكم بوعده (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ) يقول: وما كان لي عليكم فيما وعدتكم من النصرة من حجة تثبت لي عليكم بصدق قولي"(٢٥)

ثم يذكر عليه لعائن الله عمله فيهم وتأثيره عليهم قائلاً : (إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) أي: " بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به فخالفتموهم، فصرتم إلى ما أنتم فيه (فَلاَ تَلُومُونِي) اليوم (وَلُومُواْ أَنفُسَكُم) فإن الذنب لكم؛ لكونكم خالفتم الحجج، واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل (مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) أي: بنافعي بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال"(٢٦).

وقول الشيطان ونطقه بذلك القول، إنما هو بعد مجادلة الضعفاء مع سادتهم الأقويا، كما قال تعالى: (وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ{٢١}) سورة إبراهيم: ٢١ .

يقول ابن عاشور:" أفضت مجادلة الضعفاء وسادتهم في تغريرهم بالضلالة إلى نطق مصدر الضلالة وهو الشيطان ، إما لأنهم بعد أن أعتذر إليهم كبراؤهم بالحرمان من الهدى علموا أن سبب إضلالهم هو الشيطان؛ لأن نفي الاهتداء يرادفه الضلال، وإما لأن المستكبرين انتقلوا من الاعتذار للضعفاء إلى ملامة الشيطان الموسوس لهم ما أوجب ضلالهم"(٢٧).

فكلامه هو من جملة مخاصمة أهل النار فيما بينهم، والمقصود من وصف هذا الموقف إثارة بغض الشيطان في نفوس أهل الكفر؛ ليأخذوا حذرهم بدفاع وسواسه، لِأن هذا الخطاب الذي يخاطبهم بهم الشيطان مليء بإضماره الشر لهم فيما وعدهم في الدنيا، مما شأنه أن يستفز غضبهم من كيده لهم، وسخريته بهم، وتوبيخه وتبكيته إياهم؛ فيورثهم ذلك كراهية له، وسوء ظنهم بما يتوقعون إتيانه إليهم من قبله، وذلك أصل عظيم في الموعظة"[٢٨]

وهو مع هذا صنف من أصناف العذاب، وبهذا يزداد ألم المشركين، ويتضاعف عذابهم، فالآلام والعذاب قد يكون حسياً وقد يكون معنوياً.

يقول ابن رجب الحنبلي:" من جملة عذاب أهل النار فيها : تلاعنهم، وتباغضهم وتبرؤ بعضهم من بعض، ودعاء بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب"[٢٩].

المطلب الثالث: أسلوب التقريع

تقدم أن التبكيت ورد بمعنى التقريع وفيه من المعاني الزائدة وصفه بشدة العتاب الموجع مع توجيه اللوم[٣٠]

- **تقريع الله لأهل النار بقوله تعالى:(ذق إنك أنت العزيز الكريم).**

قال الله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } سورة الدخان٤٩، قال ابن عاشور: وجملة {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } مقول قول آخر محذوف تقديره: قولوا له أو يقال له"[٣١].

وقال ابن جرير عن قتادة قال نزلت في أبي جهل {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ } سورة الدخان٤٧ ، قال قتادة: قال أبو جهل: ما بين جبليها رجل أعز ولا أكرم مني، فقال الله عز وجل: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} سورة الدخان٤٩ [٣٢].

وتأويل قوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}كونه في ذل ومهانة فيه أربعة أوجه:

أحدها: معناه أنك لست بعزيز ولا كريم؛ لأنه قال توعدني مُحَّد، والله إني لأعز من مشى بين جبليها، فرد الله عليه قوله، قاله قتادة.

الثاني: إنك أنت العزيز الكريم عند نفسك، قاله قتادة أيضاً.

الثالث: إنه قيل له ذلك استهزاء على جهة الإهانة، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: إنك أنت العزيز في قومك، الكريم على أهلك حكاه ابن عيسى.[٣٣]

وعلى كل ما قاله سعيد بن جبير لا يمكن العدول عنه، ولا يتعارض مع بقية الأقوال فيما أرى؛ لأن السبب للقول، أو ذكر المعنى للفظ، لا يتعارض مع الغرض من سبب القول، أو الغرض من ذكر اللفظ، فمن قال السبب هو قول أبي جهل: ما بين جبليها رجل أعز ولا أكرم مني، لا يتعارض مع أن الغرض من ذلك هو التوبيخ، ومن قال أن المعنى: إنك أنت العزيز الكريم عند نفسك، أو إنك أنت العزيز في قومك، الكريم على أهلك، لا يتعارض مع أن المقصود من ذلك هو التوبيخ والتبكيت، والله أعلم بمراده.

قال ابن جرير الطبري:" إن قوله:{ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} غير وصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم، ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية؛ لأنه كان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة: وإنك أنت الذليل المهين، فأين الذي كنت تقول وتدعي من العز والكرم، هلا تمتنع من العذاب بعزتك"(٣٤).

وأيد ذلك ابن كثير بقوله:" وقوله:{ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}أي: قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ"(٣٥).

- **تقريع أهل النار بقول :(أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم)**

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ، هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون،اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } سورة يس: ٦٢ — ٦٤

"والهمزة في قوله تعالى: {أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} سورة يس٦٢ للتقريع، والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام كما تقدم في نظائره أي: أتشاهدون آثار العقوبات؟ أفلم تكونوا تعقلون؟ أو أفلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم؟ أو أفلم تكونوا تعقلون شيئاً أصلاً؟....{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } سورة يس٦٣ أي: ويقال لهم عند أن يدنوا من النار : هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على ألسنة الرسل، والقائل لهم الملائكة، ثم يقولون لهم: {اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } سورة يس٦٤ أي: قاسوا حرها اليوم وادخلوها، وذوقوا أنواع العذاب فيها بما كنتم تكفرون أي: بسبب كفركم بالله في الدنيا، وطاعتكم للشيطان، وعبادتكم للأوثان، وهذا ألأمر أمر تنكيل، وأهانة كقوله:{ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} (٣٦).

ويقول الألوسي في قوله تعالى:{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والإلزام والتبكيت عند إشرافهم على شفير جهنم أي هذه التي ترونها جهنم التي لم تزالوا توعدون بدخولها على ألسنة الرسل عليهم السلام والمبلغين عنهم بمقابلة عبادة الشيطان"(٣٧).

قال ابن كثير:" يُقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقريعاً وتوبيخاً :{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } أي: هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموهم".(٣٨)

فيكون توبيخهم في موضعين كما ذكرت الآية الكريمة: (أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) وقوله تعالى:{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}

المطلب الرابع: أسلوب الضحك

- **ضحك المؤمنين على الكفار.**

قال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ{ ٢٩ } وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ{ ٣٠ } وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ{ ٣١} وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ{ ٣٢} وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ

حَافِظِينَ{٣٣} فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ{٣٤} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ{٣٥} هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ{٣٦} } سورة المطففين: ٢٩ – ٣٦

" فيخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي: يستهزؤون بهم ويحتقرونهم وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي: محتقرين لهم"[٣٩] ، وهذا الضحك من المؤمنين إنما هو جزاء ما صنعه المشركون بهم في الحياة الدنيا من وصفهم بالضلال، والتغامز عند المرور بهم؛ احتقاراً واستهزاءً بالمؤمنين، والمقصود بذلك التغامز كما يقول القرطبي: " قوله تعالى: {وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } عند إتيانهم رسول الله ﷺ(يَتَغَامَزُونَ) : يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم وقيل: أي يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به يقال: غمزت الشيء بيدي قال:

وكنت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيما[٤٠]

وقالت عائشة:" كان النبي ﷺ إذا سجد غمزني فقبضت رجلي"[٤١].وغمزته بعيني وقيل: الغمز بمعنى العيب يقال غمزه: أي عابه وما في فلان غمزة أي: عيب، وقال مقاتل: نزلت في علي بن أبي طالب ﷺ جاء في نفر من المسلمين إلى النبي ﷺ فلمزهم المنافقون، وضحكوا عليهم، وتغامزوا"[٤٢].

فسواءً كان التغامز منهم بالإشارة بالعين، أو العيب عليهم باللسان فهم معتدون، وقصدهم احتقار المؤمنين، فكان الجزاء من جنس العمل، " وأفادت فاء السببية في قوله تعالى: (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) أن استهزائهم بالمؤمنين في الدنيا كان سبباً في جزائهم بما هو من نوعه في الآخرة إذ جعل الله الذين آمنوا يضحكون من المشركين فكان جزاءً وفاقاً".[٤٣]

ويذكر ابن عاشور ما ينال المشركين من التبكيت من قبل المؤمنين أصحاب الجنة، وأن ذلك التوبيخ يظهر في ألوان من وجوه البلاغة، فيقول:" وتقديم (مِنَ الْكُفَّارِ) على متعلقة وهو(يَضْحَكُونَ) للاهتمام بالمضحوك منهم تعجيلاً لإساءتهم عند سماع هذا التقريع، وقوله : (مِنَ الْكُفَّارِ) إظهار في مقام الإضمار عدل عن أن يقال: منهم يضحكون لما في الوصف المظهر من الذم للكفار، ومفعول (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ) محذوف دل عليه قوله: (مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) تقديره: ينظرون، أي يشاهدون المشركين في العذاب والإهانة"[٤٤].

المطلب الخامس: أسلوب التخاصم

- **تخاصم أهل النار وتبكيت بعضهم بعضاً.**

أهل النار يتخاصمون في ما بينهم تخاصماً شديداً كما ذكر المولى سبحانه وتعالى: {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ } سورة ص٦٤، والخصومة في اللغة: المجادلة، " والخصم المنازع يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع؛ لأنه في الأصل مصدر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه فيقول: خصمان وخصوم، والاسم: الخصومة، وخاصمة فخصمه من باب: ضرب أي: غلبه في الخصومة"[٤٥].

ومعنى الخصومة: الجدل. خاصمه مخاصمة وخصومة فخصمه يخصمه: غلبه"[٤٦].

والمقصود من تخاصم أهل النار: تجادلهم وتراجع الكلام فيما بينهم، والدعاء على بعضهم، ولعن بعضهم بعضاً.

ومعنى قوله تعالى: (إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) إن هذا الذي أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار، ولعن بعضهم بعضاً، ودعاء بعضهم على بعض في النار، لحق يقين فلا تشكوا في ذلك ولكن استيقنوه، وقوله: (تَخَاصُمُ) رد على قوله (لَحَقٌّ) ومعنى الكلام إن تخاصم أهل النار الذي أخبرتكم به لحق"[٤٧].

"وأضيف هذا التخاصم إلى أهل النار كلهم اعتبارا لغالب أهلها؛لأن غالب أهل النار أهل الضلالات الاعتقادية، وهم لا يعدون أن يكونوا دعاة للضلال، أو اتباعا للدعاة إليه فكلهم يجري بينهم هذا التخاصم، أما من كان في النار من العصاة فكثير منهم ليس عصيانهم إلا اتباعاً لهواه مع كونه على علم بأن ما يأتيه ضلالة لم يسوله له أحد، : (أَهْلِ النَّارِ) الخالدون فيها كقولهم: أهل قرية كذا فإنه لا يشمل المغترب بينهم على أن وقت نزول هذه الآية لم يكن في مكة غير المسلمين الصالحين وغير المشركين، فوصف أهل النار يومئذ لا يتحقق إلا في المشركين دون عصاة المسلمين"[٤٨].

ومن هذا قوله تعالى: (قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ{٩٦} تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ{٩٧} إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ{٩٨} وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ{٩٩} سورة الشعراء

ما دلّت عليه هذه الآية الكريمة من أن أهل النار يختصمون، فيها جاء موضحًا في مواضع أُخر من كتاب الله تعالى؛ كقوله تعالى: {هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ}، إلى قوله تعالى: {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ}.[٤٩]

المطلب السادس: أسلوب التلاعن

- **تلاعن أهل النار.**

أهل النار يتخاصمون فيما بينهم، وإن كانوا في الحياة الدنيا أخلاء إلا أنهم في ذلك اليوم العظيم أعداء، كما قال الله تعالى: {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } سورة الزخرف٦٧، أما المؤمنون فهم إخوان على سرر متقابلين، فأصحاب النار كانوا على غير هدى من الله، بل كانوا محاربين لله ورسوله والمؤمنين، فهم في هذا اليوم أعداء يلعن بعضهم بعضا؛ لأن نتيجة تلك الخلة هي الضلال المبين، ودخولهم نار الجحيم، قال الله تعالى في وصف حالهم، وذكر مآلهم: {قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ } سورة الأعراف: ٣٨ – ٣٩ ففي هذا اليوم يلعن بعضهم بعضاً، كما قال خليل الله – عليه السلام– لقومه عندما عبدوا الأصنام من دون الله : {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ } سورة العنكبوت٢٥

فكلما دخلت أمة لعنت أختها "وهي أختها في الدين والملة"[٥٠]. دين الضلالة والفساد، وملة الكفر والعناد، يقول ابن عاشور:" والمراد بأختها: المماثلة لها في الدين الذي أوجب لها الدخول في النار"[٥١]. والأمة نكرة فهي تفيد العموم في كل أمة تدخل النار " وأصل الأمة في كلام العرب: الطائفة من الناس التي تؤم قصدا واحدا: من نسب أو موطن أو دين أو مجموع ذلك"[٥٢].

وهؤلاء يؤمون قصداً واحداً، وهو الدين وقد يكون الموطن أو النسب أو مجموع ذلك.

المطلب السابع: أسلوب التبرؤ

- **تبرؤ أهل النار بعضهم من بعض.**

فأهل النار يتبرؤون من بعضهم البعض، ويرجع كل منهم اللوم على الآخر، وذلك التبرؤ ورمي المسؤولية على الآخر، لا يُقبل لهم عذراً، ولا يرفع عنهم عذاباً، قال الله تعالى: {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ(٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ } سورة غافر: ٤٧ – ٤٨ ، ومعنى قوله تعالى: (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ) وإذ يتخاصمون في النار وعنى بذلك:إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله ﷺ بإنذارهم من مشركي قومه في النار فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً) تقول لرؤسائهم الذي اتبعوهم على الضلالة: إنا كنا لكم في الدنيا تبعاً على الكفر بالله (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ) اليوم (عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ) يعنون حظاً فتخفوه عنا فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا ومن قبلكم أتينا لولا أنتم لكنا في الدنيا مؤمنين فلم يصبنا اليوم هذا البلاء".[٥٣]وقول المستضعفين للمستكبرين: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النار) قد يكون ذلك طلباً منهم على سبيل الحقيقة، وقد يكون ذلك على سبيل اللوم والتوبيخ والعتاب للمستكبرين.

قال ابن عاشور: وعلى وجه أن يكون قول الضعفاء: (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً) إلى آخره توبيخاً ولوماً لزعمائهم يكون قول الزعماء: (إِنَّا كُلٌّ فِيهَا) اعترافاً بالغلط أي: دعوا لومنا وتوبيخنا، فقد كفانا أنا معكم في النار"[٥٤]

المطلب الثامن: أسلوب الدعاء

- **دعاء أهل النار بعضهم على بعض بمضاعفة العذاب.**

لقد تغير ذلك الولاء الذي كان منهم في الحياة الدنيا إلى عداوة وبغضاء، فهاهم يدعون على بعضهم البعض، ومن ذلك الدعاء، كما قال الله تعالى: {قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ } سورة الأعراف٣٨

وقال تعالى: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً } سورة الأحزاب: ٦٧ – ٦٨ .

"والضعف: المثل الزائد على مثله مرة أو مرات".[٥٥] فمن فرط بغضهم وشدة عداوتهم، أنهم يطلبون من الله ـ عز وجل ـ أن يضاعف لهم جميعاً، ومن دعائهم على بعضهم : {هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ، قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ، قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ }.

المبحث الثاني: أسباب التبكيت لأهل النار، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الإشراك بالله تعالى.

الشرك بالله أقبح الذنوب وأعظمها بسببه كثر التبكيت لأهل النار، وتفصيل ذلك في الآتي:

- **طلب مناداة ودعاء المشركين شركاءهم.**

قال تعالى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً } سورة الكهف٥٢.

يطلب منهم المولى عز وجل أن ينادوا شركاءهم على حد زعمهم في الحياة الدنيا، وما ذاك الطلب منه تعالى إلا توبيخاً وتبكيتاً لهم، فيدعون حينئذ، ولا يجدون من يجيب، وقد جعل الله بينهم وبين شركائهم موبقاً.

قال الشوكاني قوله تعالى: {جَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً }: أي جعلنا بين هؤلاء المشركين وبين من جعلوهم شركاء لله موبقاً، ذكر جماعة من المفسرين: أنه اسم واد عميق فرق الله تعالى به بينهم، وعلى هذا فهو اسم مكان قال ابن الأعرابي: كل حاجز بين شيئين فهو موبق، وقال الفراء: الموبق : المهلك، والمعنى: جعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكاً لهم في الآخرة ... والمراد بالمهلك على هذا: هو عذاب النار يشتركون فيه، والأول أولى[٥٦] (أنه اسم وادٍ عميق فرق الله به تعالى بينهم) لأن من جملة ما زعموا أنهم شركاء لله: الملائكة، وعزير، والمسيح، فالموبق: هو المكان الحائل بينهم، وقال أبو عبيدة: الموبق هنا: الموعد للهلاك وقد ثبت في اللغة أوبقه بمعنى أهلكه[٥٧].

ويفسر اللفظ ما ورد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"[٥٨].

وقوله الموبقات، قال البخاري: المهلكات[٥٩].

فالموبق: هو المهلك سواءً كان اسم مكان أو أن ذلك الموبق تواصلهم في الدنيا فكان مهلكاً لهم في الآخرة ، أو الموعد للهلاك، إذا كان يحتمله اللفظ، إلا أن القول بأنه اسم وادٍ عميق فرق الله تعالى به بينهم يحتاج إلى دليل يثبت ذلك القول، ولا يصح استبعاد أن المراد بالمهلك: هو عذاب النار يشتركون فيه هم وشركاؤهم بحجة أن من جملة ما زعموا أنهم شركاء لله: الملائكة، وعزير، والمسيح؛ لأن هؤلاء مبعدون عنها كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ }الأنبياء١٠١ بعد قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } سورة الأنبياء٩٨، والله أعلم بالصواب.

وقال تعالى: {وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ} سورة القصص٦٤.

قال ابن القيم: فهذا من دعاء المسألة يبكتهم الله عز وجل ويخزيهم يوم القيامة برؤيتهم أن شركاءهم لا يستجيبون لدعوتهم. (٦٠)

ويقول ابن كثير: يقول تعالى مخبرا عما يخاطب به المشركين يوم القيامة على رؤوس الأشهاد تقريعاً لهم، وتوبيخاً {نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} أي: في دار الدنيا ادعوهم اليوم ينقذوكم مما أنتم فيه(٦١).

ويوبخهم أيضاً بقوله:(إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ{٧١} فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ{٧٢} ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ{٧٣} مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ{٧٤} ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ{٧٥}) سورة غافر من (٧١-٧٥)

يقول سيد قطب:" وبعد السحب والجر في هذا العذاب وفي هذه المهانة، ينتهي بهم المطاف إلى ماءٍ حار وإلى نار: (فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) أي: يربطون ويحبسون على طريقة سجر الكلاب. أي: يملأ لهم المكان ماء حاراً وناراً موقدة. وإلى هذا ينتهون، وبينما هم في هذا العذاب المهين يوجه إليهم التبكيت والترذيل والإحراج والإعنات: (أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) (٦٢).

- **التبكيت بسؤالهم عن شركائهم الذين زعموا أنهم ينفعونهم.**

قال تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ } سورة الأعراف٣٧.

وقال تعالى: {ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ{٧٣} مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ{٧٤}} سورة غافر: ٧٣ – ٧٤.

ثم أخبر تعالى أنهم يوقفون يوم القيامة من جهة التوبيخ والتقريع، فيقال لهم: أين الأصنام التي كنتم تعبدون في الدنيا؟ فيقولون:(ضَلُّواْ عَنَّا): أي تلفوا منا وغابوا واضمحلوا، ثم تضطرب أقوالهم ويفزعون إلى الكذب فيقولون: (بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئاً) وهذا من أشد الاختلاط في الذهن والنظر(٦٣).

- **تبكيتهم بإلقاء معبوداتهم في النار.**

قال الله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } سورة الأنبياء٩٨ ، ووجه إلقاء الأصنام في النار مع كونها جمادات لا تعقل ولا تحسّ به: التبكيت لمن عبدها وزيادة التوبيخ لهم وتضاعف الحسرة عليهم. وقيل: إنها تحمى فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم،وجملة{أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ }إما مستأنفة أو بدل من {حَصَبُ جَهَنَّمَ} والخطاب لهم ولما يعبدون تغليباً، واللام في (لها) للتقوية لضعف عمل اسم الفاعل وقيل: هي بمعني على، والمراد بالورود هنا: الدخول. قال ابن كثير من أهل العلم :ولا يدخل في هذه الآية عيسى وعزير

والملائكة؛ لأن (وما) لمن لا يعقل، ولو أراد العموم لقال: (ومن يعبدون). قال الزجاج: ولأن المخاطبين بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم(٦٤).

- **وأما من عبد عيسى عليه الصلاة والسلام ففيه:**

قال تعالى: (أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ)

قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ } سورة المائدة١١٦ ، يسأله سبحانه وتعالى وهو عليم بذات الصدور؛ توبيخاً للنصارى على فعلتهم، وتبكيتاً لهم على اعتقادهم الباطل، وقد اختلف المفسرون في وقت هذه المقالة على قولين:

أحدهما: قول قتادة وابن جريج و أكثر المفسرين: إنما يقال له هذا يوم القيامة.

ثانيهما: وهو قول السدي وقطرب، قال له ذلك حين رفعه إلى السماء وقالت النصارى فيه ما قالت، واحتجوا بقوله: (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ) فإن (إذ) في كلام العرب لما مضى(٦٥).

والأول أصح يدل عليه ما قبله من قوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ } سورة المائدة١٠٩

وما بعده {قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } سورة المائدة١١٩

وعلى هذا تكون (إذ) بمعنى إذا كقوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ } سورة سبأ٥١ ، أي إذا فزعوا.

وإذا كان ذلك السؤال في يوم القيامة فما معناه وما المقصود منه؟

اختلف أهل التأويل في معنى هذا السؤال وليس باستفهام وإن خرج مخرج الاستفهام على قولين:

أحدهما: أنه سأله عن ذلك؛ توبيخاً لمن ادعى ذلك عليه؛ ليكون إنكاره بعد السؤال أبلغ في التكذيب، وأشد في التوبيخ والتقريع.

الثاني: قصد بهذا السؤال تعريفه أن قومه غيروا بعده، وادعوا ما لم يقله(٦٦).

المطلب الثاني: سوء ظن أهل النار بالله تعالى

قال تعالى: {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ } سورة فصلت٢٢.

ومعنى (تَسْتَتِرُونَ) تستخفون في قول أكثر العلماء، أي: ما كنتم تستخفون من أنفسكم حذراً من شهادة الجوارح عليكم؛ لأن الإنسان لا يمكنه أن يخفي من نفسه عمله فيكون الاستخفاء بمعنى المعصية، وقيل: الاستتار

بمعنى الاتقاء أي: ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفاً من هذه الشهادة وقال معناه مجاهد، وقال قتادة: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ) أي: تظنون"[٦٧]

والمعنى الأخير بعيد كما ذكر الشوكاني فيما يأتي، بعد أن ذكر أن المراد من الآية هو التوبيخ والتبكيت، فقال: وهذا تقريع لهم وتوبيخ من جهة الله سبحانه أو من كلام الجلود: أي ما كنتم تستخفون عند الأعمال القبيحة حذراً من شهادة الجوارح عليكم، ولما كان الإنسان لا يقدر على أن يستخفي من جوارحه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا: ترك المعصية، وقيل الاستتار: الاتقاء: أي ما كنتم تتقون في الدنيا أن تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفاً من هذه الشهادة وأن في قوله تعالى: (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ) في محل نصب على العلة: أي لأجل أن تشهد، أو مخافة أن تشهد، وقيل: منصوبة بنزع الخافض وهو الباء، أو عن أو من، وقيل إن الاستتار مضمن معنى الظن: أي وما كنتم تظنون أن تشهد وهو بعيد"[٦٨].

ويقول الألوسي: {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ }، حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع؛ تقريراً لجواب الجلود"[٦٩].

المطلب الثالث: تكذيب أهل النار بآيات الله تعالى

قال الله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ(٨٣) حَتَّى إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٨٤)} سورة النمل، ومعنى الآية: واذكر يا محمد يوم نجمع من كل أمة من الأمم جماعة مكذبين بآياتنا فهم عند ذلك الحشر يرد أولهم على آخرهم، أو يدفعون أي ذكر لهم هذا، أو بينه تحذيراً لهم، وترهيباً {وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ(٨٣) {حَتَّى إِذَا جَاؤُوا}إلى موقف الحساب قال الله لهم توبيخاً، وتقريعاً :{أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي}التي أنزلتها على رسلي،وأمرتهم بإبلاغها إليكم والحال أنكم: و(لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً) بل كذبتم بها بادئ ذي بدء جاهلين لها غير ناظرين فيها، ولا مستدلين على صحتها، أو بطلانها تمرداً، وعناداً، وجرأة على الله ورسله، وفي هذا مزيد تقريع وتوبيخ؛ لأن من كذب بشئ ولم يحط به علماً فقد كذب في تكذيبه، ونادى على نفسه بالجهل وعدم الأنصاف، وسوء الفهم، وقصور الإدراك ....و(أم) في قوله تعالى: (أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) هي المنقطعة، والمعنى: أم أي شيء كنتم تعملون حتى شغلكم ذلك عن النظر فيها، والتفكير في معانيها؟ وهذا الاستفهام على طريق التبكيت لهم"[٧٠]

المطلب الرابع: تكذيب أهل النار برسل الله تعالى

قال الله تعالى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } سورة الملك٨ ، (سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) على جهة التوبيخ والتقريع (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) أي رسول في الدنيا ينذركم هذا اليوم حتى تحذروا[٧١]. وقال الله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } سورة الزمر ٧١- ٧٢ وقوله تعالى:

(حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) أي بمجرد وصولهم إليها فتحت أبوابها سريعاً؛ لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الأخلاق شداد القوى عل وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) أي: يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم إليه".[(٧٢)]

إنه توبيخ عنيف، وتقريع مخيف، يوجه إلى الذين كفروا في ثلاث جمل متتالية، من قبل ملائكة الرحمن، في كل جملة من الجمل معنى من معاني التوبيخ، ولوناً من ألوان التبكيت، أما الأولى (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) ويليها (يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ) ثم الأخيرة (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا) وكل جملة من الآية الكريمة قد احتوت على كافين من كاف الخطاب؛ زيادة في التقريع والتشنيع، ففي الأولى: يأتكم، منكم، وفي الثانية: عليكم، ربكم، والأخيرة: ينذرونكم، يومكم؛ لأن العتاب بضمير المخاطب أشد على النفوس وأنكى في القلوب من غيره؛ ولهذا عاتب الله نبيه ﷺ بضمير الغائب فقال : {عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَن جَاءهُ الْأَعْمَى }سورة عبس:١– ٢ لطفاً به ﷺ وإشفاقاً عليه.

المطلب الخامس : تكذيب أهل النار بالبعث

تبكيت المؤمن لقرينه الكافر بقوله في الحياة الدنيا: أنهم غير مبعوثين: قال الله تعالى: { فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاء الْجَحِيمِ{٥٥} قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ{٥٦} وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ{٥٧} أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ{٥٨} إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ{٥٩} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ{٦٠} سورة الصافات:٥٥،٦٠ قوله تعالى: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ } فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه إذا ذبح الموت، قال أهل الجنة: (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ) التي كانت في الدنيا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) فيقال لهم: لا؛ فعند ذلك قالوا: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) فيقول الله تعالى: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ } سورة الصافات٦١ قاله ابن السائب. وقيل: يقول: ذلك للملائكة.

والثاني: أنه قول المؤمن لأصحابه، فقالوا له: إنك لا تموت، فقال :(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) قاله مقاتل وقال أبو سفيان الدمشقي : إنما خاطب المؤمن أهل الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم، لا على طريق الاستفهام؛ لأنه قد علم أنهم ليسوا بميتين، ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سروراً.

والثالث: أنه قول المؤمن لقرينه الكافر على جهة التوبيخ بما كان ينكره، ذكره الثعلبي.[(٧٣)]

والقول الثالث هو ما رجحه الطبري فقال: " عن قتادة قوله: (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ) رجوع إلى محاورة جلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه تبجحاً وابتهاجاً بما أتاح الله – تعالى- له من الفضل العظيم والنعيم المقيم، وتعريضاً للقرين بالتوبيخ، وجوز أن يكون من كلام المتسائلين جميعاً، وأن يكون من تتمة كلام القائل يسمع قرينه على جهة التوبيخ له، واختير الأول"[(٧٤)].

- **توبيخ الله أهل النار على إنكارهم الوعد ويوم القيامة.**

يوبخهم المولى سبحانه بقوله لهم: {أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ} سورة الأحقاف٣٤ ؛لأنهم زعموا أنما هي حياتهم الدنيا وكفى، وقالوا جاحدين مكذبين بيوم الدين: {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } سورة الشعراء١٣٨ ، فيسألهم الله ذلك تبكيتاً وتوبيخاً؛ لاعتقادهم الباطل، وزعمهم الكاذب، كما ذكر الله في كتابه فقال: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } سورة الأنعام٣٠ ، وقال سبحانه: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } سورة الأحقاف٣٤.

ولما كان كأنه قيل: ماذا يصنع بهم في حال عرضهم؟ قيل: يقال على سبيل التبكيت والتقريع والتوبيخ: (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ) أي: الأمر العظيم الذي كنتم به توعدون ولرسلنا في أخبارهم تكذبون (بِالْحَقِّ) أي الأمر الثابت الذي يطابقه الواقع، فلا قدرة لكم على صليه أمر هو خيال وسحر، فلا تبالون بوروده"[٧٥].

المطلب السادس: تمسك أهل النار بالدنيا وتثاقلهم عن طاعة الله تعالى.

قال الله تعالى: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ{١١٢} قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ{١١٣} قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{١١٤}} القائل لهم هو الله ـ ﷻ وهو سبحانه أعلم بما يوعون، يقول الإمام الشوكاني : القائل هو الله ﷻ وتذكيراً لهم كم لبثوا؟ لما سألوا الرجوع إلى الدنيا بعد أن أخبرهم بأن ذلك غير كائن"[٧٦]

وقد كان الجواب منهم كما ذكر الله تعالى : (لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ) والسؤال منه سبحانه وتعالى إنما هو للتوبيخ والتبكيت، يقول الرازي: " الغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ، فقد كانوا ينكرون اللبث في الآخرة أصلاً ولا يعدون اللبث إلا في دار الدنيا ويظنون أن بعد الموت يدوم الفناء ولا إعادة، فلما حصلوا في النار وأيقنوا أنها دائمة وهم فيها مخلدون سألهم: (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ) تنبيهاً لهم على أن ما ظنوه دائماً طويلاً، فهو يسير بالإضافة إلى ما أنكروه، فحينئذٍ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدون في الدنيا من حيث أيقنوا خلافه، فليس الغرض السؤال بل الغرض ما ذكرنا"[٧٧].

هؤلاء الذين يزعمون أن ما خلقهما الله عبثاً وأنهم إليه لا يرجعون، فهم اليوم يزعمون أنما لبثوا يوماً أو بعض يوم في حياتهم الدنيا التي قالوا عنها كما ذكر الله ـ تعالى ـ: {وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } سورة الأنعام٢٩، وقال الله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ } سورة الدخان٣٥، {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } سورة الجاثية٢٤ ، فكان ذلك تقريعاً لهم وتوبيخاً؛ قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ } سورة المؤمنون١١٥، أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد، ولا إرادة منكم، ولا حكمة لنا، {وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا

تُرْجَعُونَ }أي: لا تعودون في الدار الآخرة، كما قال تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى } سورة القيامة٣٦ والاستفهام منه ـ سبحانه وتعالى ـ هو استفهام تقريري مع ما فيه من التقريع والتبكيت.

يقول ابن عاشور :" والاستفهام تقرير وتوبيخ؛ لأن لازم إنكارهم البعث أن يكون خلق الناس مشتملاً على عبث، فنزلوا منزلة من حسب ذلك، فقرروا ووبخوا أخذاً لهم بلازم اعتقادهم"(٧٨).

- **توبيخهم بإذهابهم طيباتهم في حياتهم الدنيا:**

قال الله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ } سورة الأحقاف٢٠، أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً، وقد تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عن كثير من طيبات المآكل والمشارب، وتنزه عنها ويقول: إني أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم وبخهم وقرعهم: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا) (٧٩)

ويقول الشوكاني: ومعنى الاستفهام: التقريع والتوبيخ، قال الفراء والزجاج: العرب توبخ بالاستفهام وبغيره"(٨٠).

الخاتمة

هذه خلاصة البحث وأهم النتائج :

أولاً: المتأمل في القرآن يجد الخطاب الإلهي بذكر (يا عبادي) وفي هذا الخطاب تلطف وترحم وأنس للمخاطب، ولكن في بحثنا عن التبكيت لم نجد فيها هذا التعبير نهائياً، فأهل النار لا يستحقون هذا إذ رفضوا عبودية خالقهم، فلا يستحقوا أن يقال لهم وقد أصبحوا في النار، وأغلب الآيات ذكرت التبكيت مع الفعل(يقول- قال- نعف) وليس فيها تصريح باسم الله سبحانه إلا في قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ }الأنعام٣٠

ثانياً: التبكيت عذاب معنوي يقاسيه أهل النار إلى الجانب الحسي.

ثالثاً: تنوعت أساليب التبكيت من حيث موضوعها، كالتلاعن والتبروء ودعاء بعضهم على بعض، كما تنوع التبكيت من حيث صدوره فمنها الصادر من الله سبحانه، ومنها الصادر من الملائكة، ومنها الصادر من المؤمنين، ومنها ما هو بين أهل النار بعضهم مع بعض.

رابعاً: أسلوب التقريع أكثر الأساليب ورودا في القرآن الكريم.

التوصيات:

١. دراسة صور وأساليب التبكيت في القرآن الكريم.
٢. إفراد صور وأسباب التبكيت في أبحاث مستقلة.
٣. توسيع إطار الفائدة بهذا الموضوع عن طريق المحاضرات والخطب ووسائل التواصل الإعلامية.

الهوامش

(١) سنن أبي داود ٥٦٨/٢ رقم(٤٤٧٨) ، صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٤٧٨/٩ رقم(٤٤٧٨)

(٢) لسان العرب لابن منظور ١١/٢

(٣) غريب الحديث لابن الجوزي ٨٣/١

(٤) لسان العرب ١١/٢

(٥) المصباح المنير ١/ ٥٨

(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي٣٠٤/٢٧

(٧) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٤٣٠/٩.

(٨) في ظلال القرآن، ٢٧٣/٦.

(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٤/٤.

(١٠) رواه البخاري، ٩٥٤/٢، رقم ٢٥٤١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٧٤/٤.

(١١) مجموع الفتاوى، ٤١٨/١١.

(١٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٣٩٦/١.

(١٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥٣٨.

(١٤) مختصر المعاني- سعد الدين التفتازاني - (١ / ١٢٩)

(١٥) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - (٤ / ٥١٠)

(١٦) المصدر السابق، ٧٤٩/٢.

(١٧) المصدر السابق، ١١٢/٤.

(١٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٤/٢.

(١٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب لابن عطية ٤٤/٣.

(٢٠) مفاتيح الغيب للرازي، ١٠٥/٧.

(٢١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٥/١٤.

(٢٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٥/١٤.

(٢٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٩٦٩/١.

(٢٤) التحري والتنوير لابن عاشور ٣٢٦١/١.

(٢٥) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٤٣٣/٧.

(٢٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٦٩٧/٢.

(٢٧) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٧٥.

(٢٨) المرجع السابق.

(٢٩) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ١/١٣٤، مكتبة دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩٩هـ.

(٣٠) مختار الصحاح ١/٥٦٠، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ١/٢١٠

(٣١) المصدر السابق ١٣/ ٢٩٤.

(٣٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٢٢/٤٩.

(٣٣) النكت والعيون للماوردي ٤/١٠٣.

(٣٤) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٢٢/٤٩.

(٣٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/٢٦٠.

(٣٦) فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية للشوكاني ٦/١٧٥.

(٣٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ١٧/١٧.

(٣٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٧٦١.

(٣٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤/٦٢٧.

(٤٠) البيت لزياد الأعجم انظر الكتاب لسيبويه ١/١٨٧

(٤١) صحيح البخاري، ١/١٥٠، رقم ٣٧٥، صحيح مسلم، ١/٣٦٦، رقم ٥١٢، بلفظ "كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي وإذا قام بسطتها قالت والبيوت يومئذٍ ليس فيها مصابيح" .

(٤٢) الجامع لأحكام القران للقرطبي ١٩/٢٣٤.

(٤٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١/٤٧٧٠

(٤٤) المصدر السابق ١/٤٧٧١.

(٤٥) مختار الصحاح، مُحَمَّد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ١/١٩٦

(٤٦) القاموس المحيط، مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز أبادي، ١٤٢٤هـ.

(٤٧) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١٠/٦٣.

(٤٨) التحرير والتنوير لابن عاشور ١/٣٦٤٤.

(٤٩) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (٢٩ / ١٣)

(٥٠) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٧/١٨٣.

(٥١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥٣١.

(٥٢) المصدر السابق، ٧٩٩.

(٥٣) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١١/٦٧.

(٥٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٧٦٢.

(٥٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٨٣/٧.

(٥٦) هذا ترجيح الإمام الشوكاني.

(٥٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية للشوكاني ٢٩٣/٣

(٥٨) صحيح البخاري، ١٠١٧/٣، رقم ٢٦١٥، ومسلم ٩٢/١، رقم: ٨٩..

(٥٩) فتح الباري، ابن حجر، ١٩١/١

(٦٠) بدائع الفوائد ٥١٧/٣

(٦١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١٢٣/٣.

(٦٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢٧٣/٦.

(٦٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٤٣٠/٩.

(٦٤) فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية للشوكاني ٨٣/٥.

(٦٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٧٤/٦.

(٦٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٧٤/٦ . ٣٧٥.

(٦٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٣٠٦.

(٦٨) فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية للشوكاني ٧٢٩/٤.

(٦٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ١٨/ ١٨٦..

(٧٠) فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية للشوكاني ٣٨٠/٥.

(٧١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢١٢/١٨.

(٧٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٨٤/٤.

(٧٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢١٠/٥.

(٧٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، ١٢٥/١٧.

(٧٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٧٥/٨.

(٧٦) فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية للشوكاني ٧١٦/٣.

(٧٧) مفاتيح الغيب للرازي، ١١٠/١٢.

(٧٨) التحرير والتنوير لابن عاشور ٤٢٠/٩.

(٧٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٤/ ٢٠٢.

(٨٠) فتح القدير الجامع بين فني الدراية والرواية للشوكاني ٣١/٥.

فهرس المصادر

١. القرآن الكريم

٢. بدائع الفوائد، المؤلف : مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، ط:١ ، ١٤١٦ – ١٩٩٦، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد.

٣. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميدني، دار النشر للطباعة والتوزيع.

٤. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر : مكتبة دار البيان – دمشق

٥. تفسير البحر المحيط ، المؤلف : مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر : دار الكتب العلمية لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، الطبعة : الأولى

٦. تفسير الفخر الرازى ، المؤلف : مُحَمَّد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ، دار النشر / دار إحياء التراث العربى، المحقق : أنور الباز – عامر الجزار، الناشر : دار الوفاء، الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

٧. تفسير القرآن العظيم، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، المحقق : سامي بن مُحَمَّد سلامة، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

٨. تفسير الماوردى، النكت والعيون، المؤلف : أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب الماوردي البصري، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

٩. جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف : مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق : أحمد مُحَمَّد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ط:١

١٠. الجامع الصحيح المختصر، المؤلف : مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

١١. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، المؤلف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة ـ بيروت

١٢. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف : أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)، المحقق : هشام سمير البخاري، الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية

١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف : شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي

١٤. زاد المسير في علم التفسير، المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤

١٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩

١٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، المؤلف : مُحَّد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ

١٧. في ظلال القرآن، المؤلف : سيد قطب، دار الشروق بيروت، ١٤٢٨هـ،ط١٧

١٨. القاموس المحيط، المؤلف : مُحَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق:مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ

١٩. الكتاب لعمرو بن عثمان سيبويه،تحقيق:عبد السلام هارون،مكتب الخانجي القاهرة،ط:٣، ١٤٠٨هـ

٢٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، ١٤٣٠هـ، ط:٣

٢١. التحرير والتنوير . الطبعة التونسية، المؤلف : الشيخ مُحَّد الطاهر بن عاشور، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م

٢٢. مجموع الفتاوى المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق : أنور الباز - عامر الجزار،الناشر : دار الوفاء،ط:٣ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

٢٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو مُحَّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، الطبعة : الأولى، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي

٢٤. مختار الصحاح، المؤلف : مُحَّد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون — بيروت، الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ — ١٩٩٥

٢٥. معالم التنزيل، المؤلف : محيي السنة ، أبو مُحَّد الحسين بن مسعود البغوي ، المحقق : حققه وخرج أحاديثه حمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٢٦. مفاتيح الغيب، المؤلف : الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين مُحَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة : الأولى

٢٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف : برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت — ١٤١٥، هـ - ١٩٩٥ م، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.